تركة الماضي وشرعية التساؤل

ابـراهيـم الخطيـب

الثقافة الجديدة : الاخ ابراهيم الخطيب . انت واحد من الذين عرفتهم لدراسات ومجلات النشاط النقدي في المغرب والنشاط الثقافي بصفة عامة . نريد ان نفتتح معك حوارا حول الوضع النقدي بالمغرب ، وحول بعض القضايا التي تلامس كتاباتك النقدية بالدرجة الاولى . في البداية نقترح ان يبدأ حوارنا حول ما عرفته الصحافة الوطنية في السنة الماضية حول الوضعية النقدية في المغرب من صراع شارك فيه مجموعة كبيرة من المثقفين ودام فترة طويلة ، اتخذ خلالها ابعادا ربما كانت ذات دلالات ليست بالضرورة ادبية ، نريد ان نعرف رايك في هذا الموضوع ، خاصة وان النقاد المهتمين بالمسالة لم يشاركوا في هذا الصراع النقدي ؟

ابراهيم الخطيب : أعتقد أن ظاهرة الصراع النقدي الذي عرف في السنة الماضية هي ظاهرة وقتية تتكرر ، ربما ، كلما حدثت تغيرات سياسية أو هيمنت مواقف على اخرى او حدثت حركة انتقال من مكان ثقافي الى مكان آخر، فالظاهرة من جهة تحاول أن تكون صراعا في اطار نقدي (اذا استثنينا « الجداليات » التي تدور حول نقد الاماكن الثقافية) ولكنها من جهة أخرى تعبر عن صراعات ايديولوجية . غير أن الجانب الايديولوجي ، تبعا للظروف السياسية في المغرب منذ 1970 والى الآن ، يطغى على جانب البحث في المشكل النقدي . واظن ان السبب الذي جعلني لا افكر بالدخول في هذا الجدل هو انني جربت بعض هذه الصراعات من قبل ، وثبت لي انها لا تكون مجدية بالنسبة للمجال الذي تطرح فيه وهو المجال النقدي. لكن من الضروري القول بأن هذا الصراع هو عارض لانه لا يضع مفاهيم محددة للنقاش . وكلنا نعرف على انه في بداية السنة الماضية وقبلها بقليل عرفت حركة تنقل بين الصحف والمنابر الثقافية، وكان طبيعيا لهذه الحركة أن تنتج جدلا وأن تنتج صراعا . لكن يبدو ان المشكل ينبغي ان يطرح بطريقة اخرى ، حسب ما اعتقد ، وهو : ماذا يمكن أن نستفيد من مثل هذا الصراع الذي يغطى بأطر نقدية ولكنه في جوهره صراع ايديولوجي ؟ يمكن للسوسيولوجيين أن يدرسوا هذه الظاهرة . أما نحن

فيجب ان نقول بان النقد هو الذي يهمنا . وعندما نصل الى هذه النقطة فاننا نجد أن النتيجة ليست بمقدار طموح أولئك الذين ساهموا في تسعير هذا الوضع . ذلك ان المشكل يبقى هو هو : مشكل النقد الادبي ، وبالتالي كيفية وضع وتطوير مفاهيم تخص ممارستنا النقدية في المغرب للادب . هذه الممارسة التي هي ، بالفعل ، بحاجة الى مفاهيم لانها ممارسة متميزة يتجلى فيها تجاوز مجموعة من المستويات الادبية ، مستويات غير منسجمة ، بعضها يبرز بروزا واضحا (الشعر ، والقصة القصيرة) والبعض الآخر يظهر متعثرا او متخلفا يعوق سيرورة بروز النوع الاول (الرواية) . في هذا الاطار ، اذن ، اعتقد ان تنمية مفاهيم خاصة بالنقد الادبي ، تستمد بالطبع من النظرية العامة للادب (وليس من سوسيولوجية ادبية متجاوزة أو من تاويل تاريخي مزعوم لتسلسل الاشكال) أمر حيوي جدا ، ذلك ان البحث العلمي ـ حتى على مستوى الكتابة الصحفية ـ انما يمكن ان يتطور اذا تطورت المفاهيم الخاصة لكل ممارسة على حدة .

الثقافة الجديدة : اذا سمحت ، حسب التوضيح الذي طرحته فان هذا الصراع لم يكن في اساسه وعمقه حول المصطلح النقدي او حول منهج نقدي يطرحه ناقد او تطرحه جماعة من المثقفين يريدون ان يقدموا لنا تحولا نوعيا في الوعي النقدي بالمغرب . وانما كانت هناك اسباب ، مهما كانت اساسية في حياتنا العامة ، لكنها بالنسبة للنقد هامشية . هل تعتقد أن ظاهرة مناقشة القضية النقدية ، بعيدا عن الوضع النقدي بالدرجة الاولى ، يشكل في حد ذاته ازمة نقدية في المغرب ؟ وللتوضيح : هل ان هذا الصراع الذي يمكن أن نسميه مفتعلا في كثير من جوانبه هو انعكاس لوعي نقدي حقيقي ؟

ابراهيم الخطيب : يجب ان اوضح بأن « الاسباب الاساسية » هي ليست هامشية بالنسبة للنقد ، ولكنها لا تكون في مكانها المناسب . وأظن انه توجد لدينا تجارب سابقة ، اثبتت ، وطيلة سنوات اعتقد انها كثيرة ، ان المفاهيم النقدية كثيرا ما تغدو مفاهيم ثانوية بالنسبة للصراعات التي تدور حول مضامين او تاويلات ايديولوجية . أي يحدث العكس . لقد حدث هذا مثلا بالنسبة لسنة 1954 وبالذات لدى ظهور (الماضي البسيط LE PASSE SIMPLE) لادريس الشرايبي ، اذ ان حراجة الفترة التاريخية (بداية حركة المقاومة المسلحة ضد المستعمر ، واشتعال الروح الوطنية) جعلت المهتمين بالادب ، وغيرهم ، ينظرون الى هذا النص نظرة سياسية « فقط » . وكان من الطبيعي بعد ذلك ان يبقى هذا النص ملعونا وان يخلط ، بكثير من الغموض، بين وجوده كنص ادبي يخضع لمفاهيم نسق معين ، وبين الطرف الذي انتج فيه . ان المسالة ، حقيقة ، يجب أن تحدد بدقة ، فحينما نطرح انفسنا ، افتراضا ، كدعاة لمذهب نقدي ، او كاشخاص يريدون ان يتحملوا مسؤولية الكتابة النقدية في الادب يجب ان نعرف نوعية المجال الذي نريد أن ندخله .

ان المشكل الذي أثير حول (الماضي البسيط) أعتقد انه لا يزال يلقي بظلاله على عموم التجربة النقدية في بلادنا . ان المقصود من هذا ليس منع تسرب « ايديولوجيا الى النقد ، فهناك بدون شك كتابات نقدية تستعمل مصطلحات ايديولوجية وسياسية ولكنها تضع حدودا لمجال عملها . ان المطلوب بالنسبة الى هو القيام بهذا العمل ولكن في مجال آخر ، يعني في مجال نقدي صرف . غير أن التاريخ ، منذ 1954 والى الآن ، لا يزال يفرض على الاجيال نفس المشكل ، وهو : كيف يمكن تحديد مجال للنقد الادبي يعمل بموازاة الصراعات السياسية والايديولوجية ولكنه لا يستمد مفاهيمه من خصوصيات النشاط النوعي للمجالين الايديولوجي والسياسي ؟ من هذا يمكن أن أقول ان هناك ازمة نقدية ، بل ان هناك معضلا نقديا . لم لا ؟ لانه حتى بعد مرور كل هذه السنوات لم نستطع بعد أن نقيم أسس نقاش نقدي لا يسبح في مجالات متباينة ، كالمجال السوسيولوجي او الايديولوجي او المجال الفلسفي ، وربما حتى المجال الباتولوجي . هذا هو المشكل . واظن اننا بدأنا نعيه ، بدرجة او بأخرى .

الثقافة الجديدة : اذن ، الازمة النقدية موجودة ، وهي في رايك تختلف عن طبيعة الفهم التي نعطي لها من قبل بعض المهتمين بالميدان النقدي والثقافي بصفة عامة في المغرب . هل تعتبر ان هناك نماذج نقافية ونقدية سواء في العالم العربي او العالم الغربي نستطيع ان نؤكد لنا مرة اخرى بان ازمتنا النقدية هي موجودة فعلا كغياب للنقد او كحضور له ولكن شوهي نقدي ؟ ... بمعنى اننا عندما نقول ان هناك ازمة فهناك في اذهاننا تصور ثلا ازمة . هذا التصور هو ليس تخيلا او افتراضا لشيء غير موجود ، ولكنه في الغالب لشيء موجود في مكان ما ، قد يكون هذا المكان هو المشرق العربي وقد يكون هو اوروبا بشكل عام او التاريخ ؟

ابراهيم الخطيب : ان الامر ، في اعتقادي ، لا يتعلق بآثار نماذج محددة وبدون شك فان هذه النماذج موجودة ، على سبيل الجهر او الاضمار ، في كياننا الاونطولوجي العام ، فنحن (شئنا لم ابينا) ابناء التوتر الذي ينتج عن تداخل هويتين . بالطبع هذه النماذج أو المصادر هي ليست بعيدة جدا ، فهي كامنة من جهة في وضعيتنا السياسية ، لكنها كامنة ايضا في نوع التكوين الثقافي الذي تلقيناه خصوصا منذ الستينات . لقد كان هنالك في الشرق ، وبالذات في مصر ولبنان ، حركة نقدية ساهمت الى حد كبير في ترسيخ بعض المفاهيم العامة عن الممارسة الادبية ، وبالضبط عن الممارسة المسماة « ابداعية » . ومجمل تلك المفاهيم تستقي أصولها من سوسيولوجية أدب نتداخل فيها مفاهيم آتية من علم الاجتماع الغربي ومفاهيم اخرى آتية من علم الاجتماع الاشتراكي . وقد ادى تداخل هاتين المجموعتين من المفاهيم الى بروز فهم نقدي يربط من جهة، ربطا آليا، بين الممارسة الادبية والسيرورة

الاجتماعية و التاريخية والسياسية ؛ ومن جهة أخرى ، يعطي للكاتب ، في إطاره الفردي « وضعية تيولوجية » . شخصيا ، أعتقد ان هذا « التداخل » هو الذي كون وعينا النقدي ، أي حالة تقبلنا للنقد . ونحن حينما كنا نحاول الكتابة كنقاد ، كانت تلك الحالة المهجنة حاضرة في أذهاننا حضورا كابوسيا ولا تزال الى اليوم . غير أنها طعمت حديثا بمصطلحات جديدة تأخذ مصادرها مباشرة ، وبدون واسطة سوسيولوجية ، من علم الاجتماع الماركسي ومن « الجداليات » التي ترتبت عنه ، وبالذات من النظرية السوفياتية لعلم الجمال. بالطبع ، ليس كل النقاد المغاربة تتجاور في أذهانهم هذه العناصر مجتمعة ، لكنهم واقعون ، بدرجة او بأخرى، تحت هيمنة التساؤلات الاساسية التي طرحتها هذه الحقبة . وهي تساؤلات اذا كانت تعمم نماذج معينة من التأويل، فانها، في اعتقادي، لم تستطع ان تجيبنا على السؤال الجوهري، وهو : ما الذي يميز ممارستنا الادبية ؟ أي ما هي المناهج التي تستطيع أن تبرز لنا خصوصية هذه الممارسة ؟ . لقد شعرنا ، فيما بعد ، بأن تلك النماذج انما تؤدي الى انتاج دائرة طوطولوجية مغلقة ، وها اننا قد وقعنا في البلبلة : فحينما يكون الامر متعلقا بكتابة نقدية تهتم بما هو أدبي خاصة ، تكون النتيجة ، غير المنتظرة ، تأويلا ايديولوجيا للنقد ، لهذا السبب كان من الضروري ، ليس البحث عن مصادر أخرى (فاختيار المصادر هو عملية تاريخية بقدر ما هو عملية مستقلة) ، انما البحث عن أدوات تمكننا من معرفة خصوصيات النظرية الادبية اولا ، ومن جهة اخرى معرفة خصوصية ممارستنا نحن للادب . باختصار نحن في حاجة الى المعرفة . ومن رأيي ، فان المشكل النقدي لم يعد يطرح ، ولم يعد مقبولا أن يطرح ، بواسطة مفاهيم تتعلق بالتأويل وليس بالوصف . هناك تجارب وأبحاث قام بها أشخاص او اتجاهات ، وكانت تتجه الى تحديد خصوصية العمل الادبي في سياق الممارسة الادبية . ان هذه الاتجاهات معروفة الآن ، ونصوصها موجودة بين ايدينا . غير أن المشكل الاساسي هو ، كما قلت ، ليس مشكل مصدر ، ولكنه مشكل استعمال وملاءمة بين تلك المفاهيم وبين الوضعية الادبية التي نمر بها ، وبالذات وضعية الهجانة التي سبق ان اشرت اليها والتي تتمثل في تواجد اشكال بارزة الى جانب أشكال متعثرة وضعيفة .

الثقافة الجديدة : اذن ، من خلال هذا العرض ، الذي هو تجريدي الى حد كبير ، يمكن ان نقول بانك عرضت اولا ملامح الازمة النقدية بالمغرب كما تستوعبها ، ولكنك في نفس الوقت عرضت للمراحل التي مررت بها في كتابتك النقدية ، فنحن نعلم ان هناك تباينا كبيرا بين ما كتبته عن تجربة الشاعر (محمد الخمار) وبين آخر ما كتبته وهو متعلق بدراستك للرواية المغربية . بين الدراسة الاولى والاخيرة نجد اختيارات منهجية : منها الاختيار الاجتماعي (بالمعنى البسيط) ومنها الاختيار المركب الذي تتداخل

فيه الرؤية النقدية مع القراءة السوسيولوجية واللغوية للنص . بالنسبة لك ، هل هذا المشكل المنهجي هو مجرد تجاوب مع لحظات نقدية مرت في العالم العربي او الغربي أم أنه صادر عن قناعة عميقة بخصوص سلوك طريق آخر للمنهج النقدي ؟ وبالضبط فان الكتابات التي قمت بها تظهر لنا أنك اصبحت من المهتمين بانواع القراءة المنطلقة من الشكل او من البنية . نريد ان نعرف : هل ان هذا الانتقال ، النوعي بالضرورة ، انتقال مفاجيء وعابر ، ام ان هناك خلفيات كانت وما تزال تترصد خطاك ؟

ابراهيم الخطيب : أظن ان ليس بالامر الهين الجزم بأن المشكل المنهجي ، بالنسبة لي ، كان مجرد تجاوب مع لحظات نقدية ، او أنه كان بعكس ذلك ، وليس من الصعب ان نتفق بأن النقد ، خصوصا النقد المعياري السائد ، هو قراءة بالدرجة الاولى . والواقع أن الاجابة على استفساركم لطويل تقتضي مني استحضارا بطيئا لاشكال متنوعة من الكتابات التي قمت بها ، وان مثل هذا الاستحضار ليضعني في مازق لانه ليس بالامكان الآن، للقيام بمراجعة ما . على اية حال ، يمكن ان نعتبر المقال الذي نشر في « أقلام » حول (الرواية المغربية المكتوبة بالعربية) منطلقا للتعرض لعدد من الموضوعات التي يطرحها استفساركم . فهذا المقال أردت من خلاله أن اضع على نفسي سؤالا يقع في حدود البحث في الرواية المغربية من جهة ولكنه ، من جهة ثانية ، يقع في حدود المشكل النقدي عامة ، او بالاحرى ، لمشكل ممارستي للنقد بصفة خاصة . والسؤال هو : الى أي حد كانت الرواية المغربية تعبر ، فيما كانت تنمو ، عن واقع سياسي ؟ وكنت أقصد بالتعبير، هنا ، مدى استجابتها للحظة التاريخية بصفة محددة . ومن خلال القراءة التي قمت بها للروايات التي اعتمدها المقال تولدت لدي قناعة (طبعا تخص النصوص المقروءة وليس غيرها) هي ان وعي هؤلاء الروائيين لم يكن منسجما بصورة مطلقة مع تلك اللحظة التاريخية . لكنني استنتجت ايضا ، رهو ما اعتبره مهما . ان نمو الشكل الادبي المعني (الذي هو الرواية) قد تعرض لعرقلة ما من طرف ظروف سياسية عملت على ولادة تلك النصوص . عير أن هذه العرقلة كانت تؤدي ، وبصورة معكوسة ، الى بروز اشكال من التعبير جديدة ومتميزة . لكن النص ، او كلنص على حدة ، انما كان يتوفر على بعض هذه الاشكال . قلت ان مقال (الرواية المغربية) يمكن ان يكون منطلقا لنقاش ... والواقع هو انني كنت اعتبر نفسي دائما وخصوصا قبل هذا المقال مجرد قاريء ، لكن في حدود تداخل القراءة مع التامل النقدي . ان القراءة كانت تتنوع مؤثراتها تارة بظروف سياسية ، وتارة اخرى بتاملات شخصية ، والنتيجة هي انني تقلبت ، بالفعل ، في اشكال من المفاهيم واشكال من المناهج وخلال ذلك كانت تعتريني باستمرار تساؤلات تتركز حول « شرعية » استعمال مفاهيم خارجة عن الممارسة الادبية في الممارسة الادبية

وحول مكانية التوصل الى طريق نقدي يؤدي مباشرة الى قراءة أدبية للنصوص . انني اعتبر ان معظم كتاباتي السابقة كانت محاولات لتأدية بعض النصوص لا غير . وأرى الآن ان اهم خطأ ارتكب في تلك الكتابات هو عدم تحديد المفاهيم التي انطلقت منها ، هذا وان التوصل الى تلك المفاهيم يقتضي تحديد اطار نظري يخص الوظيفة الادبية كما يخص طبيعة انساقها ، وذلك ما لم يكن بالنسبة لي ممكنا في تلك الفترة . لقد صاغ الشكلانيون الروس مثلا قسطا هاما من المشاكل التي تخص النظرية الادبية ، كما أنه من الممكن الاستفادة من التحويرات التي طرات على تلك المشاكل من طرف الانشائيين الفرنسيين ... ان هذا الاختيار قد يبدو مرفوضا وربما اعترض عليه من جهات متعددة وبدعاوي مختلفة ، لكنني أعتقد أنه على اية حال اطار نظري وأداة لصياغة المشاكل التي نبحث في اطارها ليس الا . وان القسط الاكبر من العبء ليبقى ، في النهاية ، رهينا بعملنا .

الثقافة الجديدة : لا شك ان التجريب لا يطبع كتاباتك فقط ولكن يطبع مرحلة ثقافية بكاملها في المغرب . هل يمكن ان نقول بعد هذا انك قد وصلت لبعض الملامح النقدية التي لها نوع من القدرة على ان تكون تاسيسا لاختيار نقدي في كتاباتك ؟ وبالتالي هل يمكن ـ في حالة الايجاب ـ ان تطرح هذا الاختيار كاقتراح بالنسبة للنقاد الآخرين بالمغرب ؟

ابراهيم الخطيب : انني اتفق معك في ان مجمل كتاباتي النقدية يدخل الى حد ما في حدود التجريب . فلقد سبق ان اشرت الى ان معظم تلك الكتابات كانت نتيجة قراءة ولم تكن موضوعة في اطار تساؤلات منهجية محددة . كما اشرت الى ان المطلوب ، اذ ذاك ، او ما كنت اطلبه من نفسي هو ان اؤول بعض النصوص . والحال ان تلك القراءات كانت تتنوع بظروف مختلفة وبنقاشات متباينة كانت تقع بيني وبين بعض الزملاء ، وفي بعض الاحيان كانت تلك الكتابات مجرد تاملات شخصية تنتج عن قراءة ، وفي بعض الاحيان قراءة واحدة . كتابات تجريبية ، نعم ، لكن هل بامكانكم ان تقولوا لي متى لا يكون هناك ، بالنسبة للكتابة ، تجريب ؟ انني اعتقد ان الانتقال من كتابة نص الى كتابة نص آخر (حتى ولو كان نقديا) هو خروج من حدود معلومة الى حدود مجهولة او ممكنة . ولهذا فانني اعتبر ان تلك الكتابات لم تكن اعتباطية ، بل انها وضعتني الآن أمام مشكل محدد وهو : الى اي حد كانت تلك الكتابات تسهم في وضع تصورات (ولا اقول مفاهيم) تتعلق بالانواع المتباينة لتلك النصوص ؟ بالطبع لا استطيع ان اضع تجربتي كمرآة ينعكس عليها وضع الثقافة المغربية بصورة مجملة . ان ثقافتنا هي ثقافة معقدة وليس من السهل تركيزها او اختصارها في نموذج او في نماذج معدودة. لكنني، شخصيا ، اتصور هذه الثقافة وقد طغى عليها الجدل الايديولوجي ، هذا الجدل الذي « يخفي » حقائق معينة والذي يعمل على ترسيخ مفاهيم لحساب مفاهيم

أخرى . ان المرء ليصاب بذهول ، أحيانا ، من كثرة المفاهيم الايديولوجية المطروحة على سطح النقاش الادبي والنظري بوجه عام . لكننا نصاب بخيبة أمل عند ما نلتفت الى الحقل الادبي ، اذ لا نجد شيئا كثيرا يخص تجربتنا الادبية . وقد نتج عن هذا الوضع ، بالطبع ، تعاظم في حجم الدراسات والمقالات ذات المحتوى الايديولوجي : وفي المقابل تضاؤل في الدراسات و المقالات التي تهتم بالانواع الاتفاقية كالرواية أو الشعر أو القصة القصيرة الخ . ان هذا الوضع هو الذي يجب ان يضع على كل واحد منا السؤال وان يحمله مسؤولية تحليله والاجابة عليه . هذا السؤال ليس من المفروض ان ينطلق من قناعة منهجية وانما من معاينته فحسب . يبقى بعد ذلك المحتوى المنهجي للاجابة . وبالنسبة لي ، فيجب ان أقول بأن الامر لا يتعلق بتحديد اختيار منهجي (فهذا العمل سهل وساذج) ولكن بالتوصل الى ادوات نظرية. وأظن انني تعرضت الى هذه النقطة من قبل .

الثقافة الجديدة : هذا المشكل الذي طرحته في النهاية مهم جدا ، وهو يجعلنا نعيد النظر ليس في وضعنا الحالي فقط ولكن في وضعنا النقدي ماضيا وحاضرا ومستقبلا .عدم الوضوح في المنهج بالنسبة لك او بالنسبة للنقد المغربي ككل ليس مفاجئا ولكن الماضي ساهم فيه . وتعني بالماضي التراث النقدي الذي وجد بالمغرب . هناك مجموعة من النقاد المغاربة الذين عرفتهم الساحة الادبية بالمغرب في فترة يقظتنا الوطنية . ولعل من بين هؤلاء النقاد الذي كان لهم عطاء كبير من الناحية الكمية على الاقل : عبد الكريم غلاب . هل كان لعبد الكريم غلاب حضور في وعيك النقدي وأنت تتدرج نحو الكتابة النقدية في مراحلها الاولى ثم في مرحلة التساؤل أي في مرحلتك الاخيرة ؟

ابراهيم الخطيب : قد تكون اجابتي مفاجئة اذا قلت انني لم أقرأ كتابات غلاب النقدية الا ما جمع في كتابه (دفاع عن فن القول) . وبضع مقالات نشرت في كتاب آخر له (مع الادب والادباء) . لكن هذا لايعني أنني لم اهتم بغلاب ، فقد كتبت عن كتابه الاول ، كما كتبت عن (دفنا الماضي) وعن بعض قصصه القصيرة . وفي وعيي ، فان صورة غلاب كانت تجسد شخصية الناقد الذي فقد الاتصال بالتطور النظري للنقد . وفي هذا الاطار كانت بعض كتاباته عن (السياب) او (البياتي) او غيرهما تبدو لي باعثة على الاسف وعموما فقد كنت ، ولا أزال ، انظر اليه كرجل مولع بتبسيط المفاهيم ولا يهتم بطرح اسئلة . ولست اعتقد انه طرح في يوم ما ، خلال كتاباته ، تساؤلا يمكن ان يستقر في وعيي استقرارا طويلا . وعلى العكس من ذلك ، فان كتابات أشخاص أقل منه شهرة كانت كثيرا ما تثير انتباهي مثل كتابات عبد الرحمان الفاسي او الحاج احمد بناني او زفزاف و الخوري .

الثقافة الجديدة : اذا كانت القطيعة موجودة بينك (كنموذج من جيل

النقـاد الشبـاب) وبيـن عبـد الكـريـم غـلاب ـ كـمـمـثـل لـفـتـرة تاريخية ووعي نقدي ظاهر في السنينات ـ هل يمكن ان نقول بأن هناك علاقة بينك وبين بعض النقاد الموجودين الآن في الساحة الوطنية وفي مقدمتهم (ادريس الناقوري) و (نجيب العوفي) . وبالتالي هل هناك علاقة داخلية متبادلة بينكم من حيث التاثير والتاثر؟ وهل المنهج الذي يعتمده كل منهما قابل في نظرك الى ان يكون (الى جانب المنهج الذي تومن به او الذي تقتنع به على الاقل) ارضية مرحلية لعمل جماعي في الميدان النقدي بالمغرب يستطيع ان يبلور رؤية نقدية متميزة في هذه المرحلة التاريخية ؟

ابراهيم الخطيب : بدون شك هناك ظاهرة تجاور الكتابات النقدية الموجودة في منابر ثقافتنا . وبدون شك ، كذلك ، هناك ما يشبه التداخل او التوازي فيما بين كتابات مجموعة من النقاد في هذا الظرف . ان هذا التجاور او التداخل ناتج عن تشابه نوع الممارسة (النقد الصحفي) وعن تقارب انواع النصوص (الانتاج الادبي في المغرب في الظرف الراهن) وعن تقارب نوع القناعات السياسية المعلنة . ويمكنني ان أقول بأن بعض هذه الكتابات لم تعطني موضوعات للتأمل فحسب وانما ساهمت في دفعي الى طرح بعض الاسئلة . واذكر على سبيل المثال مقالا كان قد نشره ادريس الناقوري في جريدة (العلم) كرد غير مباشر على مقال نشر لي بـ (اقلام) حول رواية (المراة والوردة) . ذلك ان مقال الناقوري قد وضع يدي على الطبيعة العنفية التي يتميز بها النقد الايديولوجي في وقت كان هذا النقد ، بالنسبة لي ، يمثل الشكل المناسب ، عمليا ، مهد الناقوري بمقاله ذلك لكل التساؤلات التـي اعترتني فيما بعد بخصوص وضعيتنا النقدية . بالطبع ان القارىء لكتابات الناقوري النقدية سيلاحظ تحولا ملموسا في هذه الكتابات ، من البحث عـن خصوصيات ظروف الابداع الادبي وبالتالي خصوصيات النقد ، الى الربط بين هذه الخصوصيات والظروف السياسية والايديولوجية ربطا وثيقا . لقد اعتبرت أن مسيرة ادريس الناقوري كانت أشبه بانتقال ، وهـذا تأويـل شخصي لكتاباته . غير ان الناقوري من حقه ان يقول بأن المسالة لا تعدو ان تكون تطورا طبيعيا . اما فيما يتعلق بنجيب العوفي فانني أستطيع ان اقول بأن مجال الكتابة الذي يبحث فيه ، وأقصد به مجال الشعر ، لا يدخـل في اطار المفاهيم النظرية التي اهتم بها ، ذلك أن ما يهمني الآن هو البحث في البنيات الحكائية وليس في الشعر الذي هو ، بالضرورة ، اكثر تعقيدا ويحتاج الى مدة طويلة بقراءة النصوص الشعرية . لهذا اشعر أنه من الممكن ان يحاور ويناقش الناقوري نقاش في يوم ما (فهو يهتم ايضا بالروايـة المغربية) اكثر مثل هذا الاحتمال يكاد يكون غير وارد ، في حالة نجيب العوفي. أما فيما يتعلق بالعمل الجماعي ، في اطار النقد ، فان ما اعتقده الآن هو ان

مثل هذا العمل يمكن ان يكون مثمرا اذا ما توفرت له الشروط الضرورية : واقصد بهذه الشروط ، التقارب في المنطلقات النظرية والتقارب كذلك في نوع الاهداف التي تتوخى جماعة ما الوصول اليها . يبقى ان العمل الجماعي هو عمل علمي ، منظم داخل هيآت معينة . ونحن ، حاليا ، انما نمارس النقد الصحفي .

الثقافة الجديدة : لنحاول ان نختم هذا الحوار بناء على المعطيات الموضوعية الموجودة حاليا بالساحة النقدية بالمغرب . عندنا اساتذة مهتمون بالنقد في المعاهد العليا والجامعات . عندنا كذلك مجموعة من النقاد الشباب ، على الاخص ، تساهم في الكتابة النقدية . عندنا بالاضافة الى هذا وذاك لقاءات ثقافية عامة يكون النقد الشفوي عمادها . امام هذه المعطيات وما تحمله من تيارات نقدية منها القديم ومنها الجديد ، منها ما ينطلق من اسس ذات علاقة بالنص الادبي ومنها ما يتركه هامشيا . منها ما هو فاعل بصفة مباشرة ومنها ما هو فاعل بصفة غير مباشرة في النقد . هل يمكن ان تعطينا تصورك للعمل النقدي في المستقبل ؟ وهل يمكن ان تطرح صيغة للعمل النقدي تساهم فيه هذه الاطراف او على الاقل كل الاطراف التي لها قدرة على المساهمة في التحويل المنتظر ؟

ابراهيم الخطيب : ان هذا السؤال يتيح لي ان اعين شيئا كان بودي ان اقوله من قبل ، وهو ان البحث في مجال خصوصيتنا على مستوى الممارسة الادبية لا يجب ان نتصور انه سيحصل فقط من جراء كتابات صحفية . ان المهمة الملقاة على عاتقنا كبيرة ولهذا فيجب ان نتامل كل تلك الاجهزة التي يمكن ان تساهم في مثل هذه المهمة . ان الحديث عن النقد الصحفي ، وهو عمل بالطبع له قيمته ، لا يجب أن يصرف عن أذهاننا تذكر بعض الاعمال التي تنجز على المستوى الجامعي والتي تساهم ، بدون شك ، في طرح هذه الاشكالية ليس فقط بالنسبة لانتاجنا في الظروف الراهنة وانما حتى بالنسبة لانتاجاتنا القديمة . انني اتذكر في هذه اللحظة بحثا قام به عبد الفتاح كليطو حول (المقامة) ونشر له في مجلة (اسلاميكا ISLAMICA) . فهذا البحث هو محاولة بالدرجة الاولى لتحديد العناصر الاسلوبية التي تميز المقامة كنوع أدبي ولكنه من جهة اخرى يحاول ان يدمج هذه العناصر بمجموع الحديث الادبي في القرن الثالث والرابع الهجري . كذلك لا يمكن ان ننسى كتابات اخرى أنجزت على أصعدة معرفية مختلفة لكنها كان لها فضل صيانة بعض الاشكاليات التي تطرح على مستوى النقد الادبي خاصة وعلى مستوى النظرية الادبية عامة ، واعني هنا بالذات كتاب (الرواية المغربية) للخطيبي ، وبعض المقالات النقدية التي نشرت لمحمد برادة ، وبعض تدخلات أحمد اليابوري

الخ . ان الاشارة الى هؤلاء الاشخاص تعني ان العمل الجامعي هو احد العناصر التي تساهم بقسط وافر في طرح التساؤلات التي تخص المشكل النقدي . لكن هناك اللقاءات وجلسات القراءة ، التي هي مؤهلة ، بدورها ، وفي حدود التلقائية التي تتصف بها ، لوضع ونشر بعض المفاهيم المتعلقة بالنقد . ان هذه الاصعدة مجتمعة يمكن ان تسهم في مجال النقد الادبي ، مع مراعاة خصوصية كل صعيد على حده . ان الغنى الذي ننتظره لمفاهيمنا النقدية هو غنى مزدوج : فمن جهة نحن نريد مفاهيم نقدية تخص ممارستنا للادب . ومن جهة أخرى فنحن نبحث كذلك عن تنوع في هذه المفاهيم مشروط بشروط خصوصيتها .

أنجز الحوار : **محمد بنيس ، مصطفى المسناوي**

مجلة الدراسات العربية والاسلامية
لوحدة التعليم والبحث في لغات الهند والشرق
سكرتير التحرير : عبد الرحمان ايون

توجه المراسلات والكتب والمنشورات والمقالات الى :

CAHIERS D'ETUDES ARABES ET ISLAMIQUES
13. rue de Santeuil - Paris 5e - France